البـــاب الثالث

أهداف الصهيونية ووسائلها

الفصل الأول: أصول الصهيونية واتجاهاتها

الفصل الثانى: استغلال الصهيونية للعقائد اليهودية

الفصل الثالث: الإستراتيجية الصهيونية لإقامة الدولة اليهودية

الفصل الرابع: العنف الصهيونى

الفصل الأول

أصول الصهيونية واتجاهاتها

١ـ المفكرون الصهيونيون الأوائل

يقصد بالصهيونية الدعوة إلى هجرة اليهود إلى فلسطين واستيطانهم وإقامة دولة لهم فيها[١].

ولم يكن هيرتزل أول من كتب عن ضرورة إقامة الدولة اليهودية. فقد سبقه مفكرون من أمثال موسى هيس (١٨١٢ ـ ١٨٧٥م) الذى أصدر كتابًا بعنوان (روما والقدس) دعا فيه الشعب اليهودى إلى الاقتداء بالتجربة الإيطالية وإقامة دولة له فى القدس.

كما نشر ليون بنسكر (١٨٢١ ـ ١٨٩١م) كتابه (التحرر الذاتى) وفيه اعتبر اندماج اليهود فى مجتمعاتهم ضربًا من الأوهام، إذ إنهم سوف يظلون أجانب فيها، وأنه يجب أن تكون لليهود قاعدة إقليمية يقيمون عليها دولتهم.

وكذا كتب آخرون من أمثال موشى ليلينبوم وبيريتس سمو لينكسن وغيرهم داعين إلى إقامة الدولة اليهودية فى فلسطين.

---

(١) كلمة «صهيونية» مشتقة من كلمة «صهيون» التى تطلق على جبل فى القدس وعلى القدس ذاتها، وقد صك الكلمة ناتان بيرنبوم عام ١٨٩١م للدلالة على دعوة إقامة دولة يهودية فى القدس.

٢ ـ الصهيونية كأداة لخدمة الاستعمار

ربما كان نابليون أول من اتجه بفكره إلى إقامة كيان يهودى فى فلسطين لخدمة أهداف فرنسا الاستعمارية. فخلال حملته فى مصر، وأثناء زحفه على فلسطين، وجه فى ٢٠ إبريل ١٧٩٩م من عكا نداء إلى يهود العالم لإحياء وجودهم السياسى فى فلسطين، مؤكداً أن فرنسا تقف بجانبهم لضمان إرثهم وتأييدهم ضد كل الدخلاء.

وبعد ذلك، تبنت بريطانيا فكرة إقامة كيان يهودى فى فلسطين. وقد أرسل اللورد بالمرستون (١٧٨٤ ـ ١٨٦٥م) عندما كان يشغل منصب وزير الخارجية رسالة فى ١١/ ٨/ ١٨٤٠م إلى السفير البريطانى فى إستانبول ذكر فيها: «أنه إذا عاد أفراد الشعب اليهودى إلى فلسطين تحت حماية السلطان العثمانى وبناء على دعوة منه، فإنهم سيقومون بكبح جماح أى مخططات شريرة قد يدبرها محمد على أو من سيخلفه فى المستقبل». وكان اللورد شافتسبرى صهر بالمرستون يحضه على تنفيذ هذه الخطة.

وتدل الوثائق البريطانية فى تلك الفترة على أن فكرة بالمرستون كانت محل دراسة وتوصلت إلى أن تهجير اليهود إلى فلسطين يحقق أهدافًا ثلاثة هى: إخراج محمد على من سوريا، وحصره داخل مصر، وإنشاء شبكة من المستعمرات الاستيطانية اليهودية تمثل عازلاً يحجز مصر عن سوريا[١].

والواقع، أن الحركة الصهيونية منذ نشأتها قد عرضت على أكثر من دولة أن تضع نفسها فى خدمة مصالحها الاستعمارية، وتنقل هيرتزل بين الدولة العثمانية وألمانيا وبريطانيا يعرض خدمات حركته لكل منها.

وظل من أهم مبادئ الحركة الصهيونية الاستناد على دعم إحدى الدول الكبرى من أجل تنفيذ مشروعها. وقد قامت إنجلترا بالدور الأساسى فى بناء الوطن القومى اليهودى وإقامة مؤسساته التى تحولت إلى مؤسسات دولة إسرائيل، ثم اتجهت الصهيونية إلى الولايات المتحدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لتلقى دعمها السياسى والاقتصادى والحربى مقابل قيام إسرائيل بحماية المصالح الإستراتيجية الأمريكية فى المنطقة.

---

(١) محمد حسنين هيكل: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل ـ الجزء الأول.

٣ ـ الصهيونية المسيحية[١]

كانت الفكرة السائدة فى الكاثوليكية بشأن ما تضمنته أسفار العهد القديم عن العهد الإلهى لليهود وظهور المسيح وعودة اليهود إلى فلسطين هى عدم تفسير هذه النصوص حرفيًا. فقد كانت الكاثوليكية ترى أن نفى اليهود إلى بابل كان بسبب معصية الإله، وأن عودتهم إلى فلسطين قد تحققت بعد السبى، أما النبوءة الدينية عن مستقبل إسرائيل، فإنه يقصد بها إسرائيل الجديدة أى الكنيسة.

وقد أدخلت حركة الإصلاح البروتستانتى ـ بقيادة مارتن لوثر ـ على هذه النظرة تعديلاً جوهريًا، حيث ركزت الحركة على دراسة العهد القديم وما يحويه من قصص التاريخ اليهودى القديم، وقامت بتفسيره حرفيًا، ومن ثم ظهرت عقيدة الألفية القائلة بأن المسيح المنتظر سوف يحكم العالم ألف عام يسود خلالها السلام والعدل، وستسبق ذلك حرب طاحنة (معركة هارمجدون)، وسوف يعود اليهود المشتتون إلى فلسطين ويتحولون إلى المسيحية.

ومن هنا كان اقتناع الكثيرين فى الدول البروتستانتينية بضرورة العمل على تهجير اليهود إلى فلسطين، من أجل قدوم المسيح وتحويلهم إلى الدين المسيحى، سواء عن اقتناع بعقيدة الألفية أو لمجرد الإيمان بأسفار العهد القديم الذى يشكل جزءًا لا يتجزأ من الديانة المسيحية، أو حتى لميول سياسية.

وقد انتشر ذلك الفكر الدينى المساند لعودة اليهود إلى فلسطين فى إنجلترا بوجه خاص. وأنشئت جمعيات تبشيرية صهيونية مسيحية أهمها جمعية لندن لنشر المسيحية بين اليهود الإنجليز ويهود الدولة العثمانية (١٨٠٩م) وجمعية التبشير الكنسية (١٨٥٠م).

ومن الصهيونيين الإنجليز المعروفين من غير اليهود لورنس أوليفست (١٨٢٩ ـ ١٨٨٨م) عضو البرلمان ووزير الخارجية البريطانية، ووليام هشلر (١٨٤٥ ـ ١٨٣١م) الملحق بالسفارة البريطانية فى ڤيينا، وچوزيف تشامبرلين (١٨٣٦ ـ ١٩١٤م) وزير المستعمرات فى فترة رئاسة سالسبورى الثالثة.

---

(١) ريچينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية ـ ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز (سلسلة عالم المعرفة).

ولا شك فى أن الصهيونيين غير اليهود كان لهم دور أساسى فى التمهيد للحركة الصهيونية اليهودية ومساندتها.

٤ ـ الاتجاهات داخل الحركة الصهيونية

أنشأ المؤتمر الصهيونى الأول ـ مؤتمر بازل عام ١٨٩٧م ـ المنظمة الصهيونية العالمية. وقد ثار الخلاف بين من عرفوا بالصهيونيين السياسيين الذين كانوا يعطون الأولوية للحصول على اعتراف الدول وتأييدها وبين من يسمون الصهيونيين العمليين الذين كانوا يرون التركيز على تهجير اليهود إلى فلسطين وبناء المستوطنات فيها. وكان هيرتزل من الفريق الأول، حيث كان يرى أن المسألة اليهودية قضية سياسية تتطلب إجراء المفاوضات مع الدول المعنية، وأن الاستيطان ـ الذى بدأته حركة أحباء صهيون فى أواخر القرن التاسع عشر ـ قد وصل إلى أقصى ما يستطيع تحقيقه. فالمطلوب، فى رأيه، هو الاستيطان القومى، وليس التسلل إلى فلسطين.

● الصهيونية التوفيقية:

قام هيرتزل بنشاطه الواسع فى الاتصال بالدول الكبرى للحصول على موافقتها على المشروع الصهيونى، كما واصلت الحركة الصهيونية نشاطها بمزيج من الاتجاهين السابقين، الأمر الذى أطلق عليه تعبير الصهيونية التوفيقية (أو المركبة).

● الصهيونية العمالية:

ويطلق عليها أيضًا اسم الصهيونية الاشتراكية. ويعتقد أصحاب هذا الاتجاه أن المسألة اليهودية ترجع إلى الوضع الاقتصادى والاجتماعى لبعض قطاعات اليهود، وليست مشكلة دينية، إذ إن أوضاع اليهود تختلف عن أوضاع الشعوب التى يعيشون معها، فقد أدى تحريم قيامهم بالزراعة إلى معيشتهم فى المدن، وحرم عليهم القيام بكثير من الحرف، ومن ثم أصبحوا ينتمون إلى البروليتاريا الفقيرة فى حين يشتغل أغنياء اليهود بالربا والتجارة، ولهذا أصبح دور اليهود هامشيًا، والحل هو إقامة الدولة اليهودية.

*** الصهيونية التصحيحية :**

وهى التى أسسها ڤلاديمير چابوتنسكى بسبب عدم موافقته على سياسة حاييم وايزمان سواء بالنسبة للاستيطان أو فى علاقاته المتهاونة مع السلطات البريطانية .

وكان چابوتنسكى يطالب بإعادة شرق الأردن إلى أرض إسرائيل (وكانت بريطانيا قد اقتطعتها وأقامت فيها إمارة تحت حكم عبد الله بن الحسين) . كما كان يدعو إلى إقامة جدار حديدى من القوة لردع الفلسطينيين ، حيث إنهم لن يقبلوا إقامة الدولة اليهودية إلا إذا أرغموا على ذلك .

*** الصهيونية الثقافية :**

وهى التى كان يدعو لها آحاد هاعام ، بحيث تكون الدولة اليهودية مركزًا روحيًا وثقافيًا لليهودية . وكان يختلف مع هيرتزل معتبرًا أن السبب الأساسى لمشكلة اليهود ليس معاداة السامية أو العجز السياسى والاقتصادى لليهود ، بل هو فقدانهم للوحدة وضعف تمسكهم بقيمهم وتقاليدهم .

وكان أحاد هاعام يعيب على المستوطنين اليهود سوء معاملتهم للفلسطينيين وتعاليهم عليهم ، ويبصر اليهود بخطورة هذه المعاملة .

*** أنصار الدولة ثنائية القومية :**

تشكلت جماعات للمطالبة بدولة ثنائية القومية تضم اليهود والفلسطينيين . ومن هؤلاء جماعة بريت شالوم التى أنشأها آرثر روبين عام ١٩٢٥م ، وكان من أعضائها جودا ماجنس أول رئيس للجامعة العبرية وآرثر روبين وإسحق أبشتاين وحاييم كالفاريسكى .

وبعد أن تم حل هذه الجمعية أنشئت جماعة إيجود عام ١٩٤٢م ، التى تبنت الدعوة نفسها ، مطالبة بالمساواة العددية بين اليهود والفلسطينيين ، وكان من أبرز قادتها مارتن بوبر وماجنس وسميلانسكى .

وبعد أن ظلت دعوة الدولة ثنائية القومية ماثلة فى جماعة هاشوبير هاتسور (التى تحولت إلى حزب سياسى) تلاشت بسبب قلة عدد مؤيديها فى الحركة الصهيونية .

● الصهيونية الإقليمية :

كان أصحاب هذا الاتجاه لا يرون ضرورة أن تكون فلسطين هى إقليم الدولة اليهودية، بل إنه يمكن إقامتها فى أى مكان آخر، بل إن إقامتها فى فلسطين سوف يؤدى إلى المصادمات والحروب مع العرب، ومن ثم وافق هؤلاء على إقامتها فى شرق إفريقيا (أوغندا).

وكان إسرائيل زنجويل من أهم دعاة هذه الحركة، بعد أن انفصل عن الحركة الصهيونية عام ١٩٠٣م.

٥ ـ العلاقات بين اليهود وعرب فلسطين

بدأت الهجرة اليهودية المكثفة فى أواخر القرن التاسع عشر، وقد أصبحت هجرة منظمة منذ إنشاء المنظمة الصهيونية عام ١٨٩٧م بعد أن كانت تتولاها حركة أحباء صهيون. فمن أجل تنفيذ المشروع الصهيونى وبناء الوطن القومى اليهودى ـ الذى يتحول إلى دولة ـ وذلك عن طريق الهجرة اليهودية والاستيطان، أقامت المنظمة المذكورة المؤسسات اللازمة، ومنها صندوق الائتمان اليهودى للاستعمار ـ كأول مصرف صهيونى ـ عام ١٨٩٩م، والصندوق القومى اليهودى (كيريت كايمت) عام ١٩٠١م بقصد جباية الأموال من أجل شراء الأراضى فى فلسطين وسوريا، والمكتب التنفيذى للمنظمة فى يافا عام ١٩٠٨م، والصندوق التأسيسى أكيرين هايسود عام ١٩٢٠م، والاتحاد العام للعمال (هستدروت) عام ١٩٢٠م.

وتمكنت المنظمة الصهيونية من شراء مساحات من أرض فلسطين، وخاصة من العائلات اللبنانية التى كانت تعيش فى لبنان (مثل عائلة سرسق) ولكنها لم تنجح فى شراء الأراضى من الفلسطينيين داخل البلاد بسبب مقاومتهم للمشروع الصهيونى. وعلى أية حال، فإن ملكية اليهود من الأراضى الفلسطينية لم تزد على ٧٪ من مساحة البلاد عند إنشاء دولة إسرائيل.

وقد زادت عملية شراء الصهيونية للأراضى الزراعية فى فلسطين من كراهية العرب الفلسطينيين للمستوطنين اليهود، ذلك أن مبادئ الصهيونية كانت تقضى بالاعتماد

على العمل اليهودى وحده، ومن ثم أدى شراء الأراضى إلى طرد المزارعين الفلسطينيين منها بخلاف ما اعتادوا عليه طوال ملكية العرب لتلك الأراضى.

ومن ناحية أخرى، اتسمت معاملة المستوطنين اليهود للفلسطينيين بالتعالى والعنف، الأمر الذى حذر من نتائجه آحاد هاعام ـ زعيم الصهيونية الثقافية ـ عندما زار البلاد حيث كتب فى عام ١٨٩١م مقالاً فى صحيفة هارتس ذاكراً أنه «كما يحدث دائما عندما يتحرر العبد من العبودية، فإن اليهود ينزعون إلى الاستبداد، فهم يعاملون العرب بقسوة وحقد ويهينونهم بغير مبرر ويبتزون حقوقهم بأساليب مخادعة». وبعد صدور تصريح بلفور ذكر آحاد هاعام «إن هذا التصريح لا يؤثر فى حق السكان الآخرين الذين لهم الحق فى التمسك بالإقامة فى الأرض، ولهم الحق فى وطن قومى، ومن غير الممكن أن يصبح الوطن القومى لأى من العرب واليهود كاملاً».

كانت تلك هى فكرة الدولة ثنائية القومية، التى نادى بها أنصار جماعة بريت شالوم وغيرهم على نحو ما سبق بيانه، والتى لم تلق سوى تأييد محدود بين اليهود.

فقد أدى وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى إلى استقواء الحركة الصهيونية بسلطات الانتداب. فقد تضمن صك الانتداب على فلسطين تكليف بريطانيا بمهمة المساعدة فى بناء الوطن القومى اليهودى بالاستعانة بالوكالة اليهودية المناسبة (مادة ٤).

وأسست الوكالة اليهودية التى أصبحت شبه حكومة تعمل إلى جانب سلطة الانتداب، وتدير شئون الجالية اليهودية (اليشوف). فقد أنشأت الإدارات التى يتولى كلٌ منها مجالاً معينًا، والتى كان من السهل تحويلها إلى مؤسسات للدولة الإسرائيلية فيما بعد.

ومنذ بدء تنفيذ المشروع الصهيونى، جرى العمل من أجل تحقيق الأغلبية السكانية اليهودية. وقد حاول حاييم وايزمان التوصل إلى اتفاق مع الأمير فيصل على ذلك المشروع، وعقد معه اتفاقًا فى ٣ يناير ١٩١٩م يتضمن الاعتراف بالوطن القومى اليهودى فى فلسطين، غير أن الشرط الذى وضعه فيصل ـ والخاص بإقامة الدولة العربية الكبرى ـ لم يتحقق، ومن ثم سقط الاتفاق المذكور.

وبذل داڤيد بن جوريون محاولة أخرى مع الزعماء العرب عام ١٩٣٤م، من أجل الحصول على موافقتهم على الهدف الصهيونى الخاص بتحقيق الأغلبية السكانية اليهودية، ملوحًا لهم بالازدهار الذى تحققه الصهيونية عن طريق تنمية البلاد، وكان من الطبيعى أن تفشل محاولة بن جوريون (وقد رد موسى العلمى عليه قائلاً: «نحن العرب نفضل أن تبقى هذه البلاد فقيرة وقاحلة مائة سنة أخرى حتى نستطيع ـ نحن العرب ـ أن نطورها بقوتنا الذاتية»).

والواقع، أن الفلسطينيين قد رفضوا المشروع الصهيونى منذ البداية، وقاوموه بكل الوسائل المتاحة لهم، سواء بالاحتجاج لدى الباب العالى العثمانى أو بإرسال وفد إلى بريطانيا لمحاولة إقناع تشرشل، أو فى مؤتمر السلام عام ١٩١٩م، أو بالمظاهرات، ثم بالمقاومة المسلحة.

ومن الجانب الصهيونى، سادت أفكار ڤلاديمير چابوتنسكى مؤسس الصهيونية التصحيحية ـ والتى سبقت الإشارة إليها ـ ونذكرها هنا بشىء من التفصيل.

فقد كان يدعو إلى عدم إساءة تقدير العرب أو التقليل من ذكائهم «بالرغم من أنهم متخلفون ثقافيًا عن اليهود بخمسمائة عام، ولا يمكن خداعهم بصياغات مخففة للأهداف الصهيونية أو رشوتهم بالأموال للتخلى عن حق مولدهم فى فلسطين».

«أما عن احتمالات الاتفاق مع الفلسطينيين، فإنها مستحيلة إذا كان المقصود الاتفاقات الاختيارية، إذ إنه طالما هناك بارقة أمل لديهم فى أنهم يستطيعون التخلص منا فلن يتخلوا عن هذا الأمل، فهم ليسوا من الغوغاء الذين يمكن خداعهم بكلمات حلوة أو بلقمة خبز، بل هم أمة لا تزال حية، وربما كانت ممزقة».

«والمطالب الصهيونية أخلاقية بعكس المقاومة الفلسطينية، إذ إنه كالفرق بين طلب الطعام بسبب الشهية وطلبه لتجنب الموت جوعًا. فالعرب لديهم مساحات شاسعة من الأراضى، وفلسطين تمثل أقل من واحد فى المائة من تلك المساحات».

«ولا غرابة فى أن يصبح العرب أقلية فى بلادهم، كفرع واحد فى هذه البلاد بعد تحقيق الغالبية اليهودية، فلا تكاد توجد واحدة من كبار الأمم القوية ليس فيها فرع من دول أخرى».

وقد تبنى بن جوريون دعوة جابوتنسكى لإقامة جدار حديدى ـ من أسباب القوة ـ لإرغام الفلسطينيين على قبول المشروع الصهيونى، وخاصة بعد أن قويت المقاومة المسلحة الفلسطينية، وفجرت ثورتها الكبرى عام ١٩٣٦م.

٦ ـ المقاومة الفلسطينية للمشروع الصهيونى

كانت بريطانيا تدرك أن المشروع الصهيونى سوف يلقى مقاومة عنيفة من الشعب الفلسطينى، ومن ثم لجأت إلى الخديعة فى تعاملها مع الشريف حسين وأبنائه، وكانت قد وعدت حسين بتوليه حكم دولة عربية كبرى مقابل ثورته ضد الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى (مراسلات حسين/ مكماهون)، ثم نكصت عن وعدها وتقاسمت مناطق النفوذ فى المشرق العربى مع فرنسا، باتفاق سايكس/ بيكو وأصدرت تصريح بلفور لإقامة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين. وكما سبقت الإشارة تمكنت بريطانيا من عقد اتفاق بين فيصل بن حسين وحاييم ويزمان فى ٣ يناير ١٩١٩م متضمنًا موافقة الأول على التعاون مع كيان يهودى فى فلسطين (بشرط تحقيق الأهداف العربية) ولكنها كانت تعلم أن هذا الاتفاق لا يكفى ـ بفرض تنفيذه ـ لقبول الحركة الوطنية العربية للمشروع الصهيونى، الأمر الذى تدل عليه رسالة كليتون ـ رجل المخابرات البريطانية إلى حكومته ـ والتى ذكر فيها: «إن عرب فلسطين يعارضون بشدة الأهداف الصهيونية، ويتخوفون منها تخوفًا شديدًا»؛ بل إن اللورد بلفور صاحب التصريح قد كتب إلى لويد جورج فى فبراير ١٩١٩م رسالة يقول له فيها: «إننا عن قصد وبحق رفضنا مبدأ تقرير المصير، إذ إنه لو استشرنا السكان الحاليين فإنهم بغير شك سوف يصدرون حكمًا معارضًا لليهود».

وقد تأكدت لبريطانيا وحلفائها معارضة الشعب الفلسطينى للمشروع الصهيونى منذ البداية، حيث كان الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى قد أرسلوا فى عام ١٩١٩م لجنة تحقيق إلى فلسطين ـ هى لجنة كنج/ كرين ـ للتعرف على رغبات السكان، وذلك بناء على طلب الرئيس الأمريكى وولسون ـ وتضمن تقرير اللجنة (الذى لم ينشر إلا فى عام ١٩٢٢م) أن هناك إجماعًا على رفض الصهيونية والمطالبة بالاستقلال التام. ومع ذلك، فإن مؤتمر السلم لم يعر تقرير اللجنة أى اهتمام.

ومضت بريطانيا فى تنفيذ سياستها المساندة لإقامة الدولة اليهودية فى فلسطين، فاستصدرت صك انتدابها عليها متضمنًا تكليفها بتنفيذ وعد بلفور، وتولى مندوبوها الساميون مهمة بناء الوطن القومى اليهودى الذى يتحول فى النهاية إلى دولة، وذلك بالتعاون الكامل مع المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية التى تمثلها فى البلاد، والتى كانت أشبه بحكومة محلية تتبعها الإدارات اللازمة والقوات المسلحة اليهودية (الهاجاناه).

لم يكن ممكنًا إقامة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين إلا بالقوة، ورغمًا عن إرادة الشعب الفلسطينى الذى لم يكف عن مقاومة المشروع المذكور. أقام الشعب العربى الفلسطينى الجمعيات، وعقد المؤتمرات، وقدم الاحتجاجات إلى مؤتمر السلم، وأرسل وفدًا إلى بريطانيا وسيّر المظاهرات التى أدت إلى المصادمات المسلحة. وتولى قيادة المقاومة الفلسطينية أمين الحسينى مفتى القدس، كما أنشئت الأحزاب الفلسطينية وصدرت الصحف التى تعكس موقف الشعب الرافض للمشروع الصهيونى والانتداب البريطانى.

ومن المصادمات المسلحة والثورات الفلسطينية فى فترة الانتداب البريطانى:

* انتفاضة القدس والبلدان المجاورة عام ١٩٢٠م أثناء احتفالات النبى موسى.
* انتفاضة يافا فى أول مايو ١٩٢١م.
* ثورة البراق فى أغسطس ١٩٢٦م.
* مظاهرات واشتباكات أكتوبر ١٩٣٣م.
* ثورة القسام عام ١٩٣٥م.
* الثورة الكبرى من ١٩٣٦ حتى ١٩٣٩م.

وقد لجأت بريطانيا إلى قمع تلك الانتفاضات والثورات، وأرسلت لجانًا للتحقيق أعقبتها بإصدار كتب بيضاء حول سياستها.

وتعكس الكتب البيضاء البريطانية ـ التى تتضمن سياساتها فى فلسطين ـ فشل بريطانيا فى إرضاء الفلسطينيين واليهود على السواء، بسبب تعارض التزاماتها فى وعد بلفور مع المطالب القومية الفلسطينية.

ومن أهم الكتب البيضاء الكتاب الصادر عام ١٩٢٢م مؤكدًا أن الهدف هو إقامة وطن قومى فى فلسطين، وليس إقامة دولة يهودية، وذلك ردًا على ما كان يشيعه اليهود من أن تصريح بلفور يعنى تحويل فلسطين بأكملها إلى دولة يهودية.

كما أن من أخطر الكتب البيضاء ذلك الذى صدر عام ١٩٣٧م مؤيدًا اقتراح لجنة پيل الخاص بتقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية مع منطقة ثالثة تبقى تحت الانتداب البريطانى. وقد اضطرت الحكومة البريطانية إلى العدول عن هذا الموقف بسبب الثورة الفلسطينية الكبرى.

وأخيرًا، الكتاب الأبيض الصادر عام ١٩٣٩م ـ والذى أصدرته بريطانيا قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية بهدف كسب تعاون العرب ـ متضمنًا إقامة دولة فلسطينية مستقلة خلال عشر سنوات والحد من الهجرة اليهودية ثم وقفها ووضع قيود على نقل ملكية الأراضى العربية إلى اليهود. وقد فجّر هذا الكتاب الأعمال الإرهابية الصهيونية ضد سلطة الانتداب والشعب الفلسطينى.

(ومنذ إنشاء دولة إسرائيل، لم يكف الشعب الفلسطينى عن المقاومة. وتضمن الميثاق الوطنى لمنظمة التحرير الفلسطينية ـ التى أنشئت عام ١٩٦٤م ـ أن النضال المسلح هو الوسيلة الوحيدة لتحرير فلسطين، وقامت بعملياتها المسلحة ضد إسرائيل.

وقد تفجرت الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٨٧م، وكان من نتائجها عقد مؤتمر مدريد وإبرام اتفاقات أوسلو، ولكن فشل عملية السلام أدى إلى نشوب انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠م).

***

الفصل الثانى

استغلال الصهيونية للعقائد اليهودية

١ ـ الصهيونية حركة قومية علمانية

وأكد تيودور هيرتزل ـ مؤسس الحركة الصهيونية ـ الطابع العلمانى لهذه الحركة. ففى حديثه مع ملك إيطاليا ڤيكتور عمانيول، سأل الملك هيرتزل عما إذا كان يتوقع ظهور المسيح فأجاب بأن «الدوائر الدينية تتوقع ذلك، أما هو وغيره من المفكرين المتنورين فإنهم لا يدينون بهذه الأفكار. وفى كتابه «دولة اليهود»[١]، أشار هيرتزل إلى دور الحاخامات فى الدولة، فقال: «سوف يقوم حاخامونا الذين نتوجه إليهم بنداء خاص بتكريس جهودهم وطاقاتهم لخدمة فكرتنا، وسوف يغرسونها فى نفوس الرعية اليهودية عن طريق الوعظ والإرشاد. . لن نسمح ـ إذن ـ بظهور أية نزعات ثيوقراطية لدى سلطاتنا الروحية. . ».

وكان قادة الحركة الصهيونية غير متدينين، بل كان منهم الملحدون، وحرصوا على إبداء عدم إيمانهم بالعقائد اليهودية، بل ومخالفتها علنًا على نحو ما فعل بعضهم بأكل لحم الخنزير أمام حائط المبكى، كما كانوا يفضلون تسميتهم بالعبرانيين لا باليهود.

وقد كان هيرتزل من قبل من بين اليهود الذين اندمجوا فى المجتمعات، التى يعيشون فيها، وقد أقام حركته على أساس قومى بناء على ما اعتقده من فشل اندماج اليهود فى

(١) Theodor Herzl: The Jewish State.

تلك المجتمعات، بسبب تأصل العداء للسامية بين الشعوب ـ وخاصة تحت تأثره بحملة العداء التى صاحبت محاكمة الضابط اليهودى دريفوس أمام إحدى المحاكم الفرنسية.

وكان هيرتزل لا يمانع فى إقامة دولة اليهود فى أى مكان من العالم، ولا يشترط أن تقام فى فلسطين، فقد وافق على إقامتها فى أوغندا أو فى سيناء أو غيرهما.

ومع ذلك، فقد اقتنع فى النهاية بأن إنشاء دولة اليهود فى فلسطين من شأنه الحصول على تأييد الجاليات اليهودية ونجاح دعوته.

ومن ثم استغلت الصهيونية العقيدة اليهودية التى تتمثل فى الإيمان بأن الرب سوف يعيد اليهود المشتتين فى البلدان المختلفة إلى (صهيون)، والأمل الذى كان يراودهم ويعبرون عنه فى صلواتهم، وفى تحية البعض للبعض بعبارة: (العام القادم فى أورشاليم).

٢ ـ الصهيونية وعقيدة المسيحانية

سبق الكلام عن عقيدة المسيحانية وما تعنيه من إيمان اليهود بظهور المسيح، الذى يجمع شتات المنفيين ويعود بهم إلى (صهيون) وينصرهم على أعدائهم ويعيد بناء الهيكل والمؤسسات اليهودية القديمة ويبدأ بظهوره الفردوس الأرضى الذى يدوم ألف عام.

وقد ظل الأمل فى العودة إلى أرض الميعاد يراود اليهود منذ شتاتهم بعد هدم الهيكل عام ٧٠م بأيدى الرومان، وتعلقوا مرات عديدة بشخصيات اعتقدوا أن الواحد منهم هو المسيح المنتظر. ومن هؤلاء بركوخيا وشبتاى تسفى وجوزيف فرانك وغيرهم. وكانت التوقعات بقرب ظهور المسيح تتزايد لدى اليهود كلما ساءت أحوالهم أو تعرضوا للاضطهاد فى البلاد التى يعيشون فيها.

وتتفق الحركة الصهيونية مع العقيدة المسيحانية بشأن جمع اليهود فى فلسطين، ولكنهما تختلفان حول طريقة تحقيق ذلك. فأساس العقيدة الدينية هو التدخل الإلهى لإعادة شعب الله المختار إلى أرض الميعاد بعد أن يصفح عنه وفاء بالعهد الذى قطعه على نفسه مع إبراهيم وذريته.

لذا اصطدمت الدعوة الصهيونية بالمفاهيم الدينية اليهودية، وقوبلت بمعارضة شديدة من قبل اليهودية الأرثوذكسية التى رأت فيها عرقلة لمسار التاريخ ومحاولة للتدخل فى مشيئة الإله، حيث إن ما يعانيه اليهود فى شتاتهم إنما هو من قضاء الرب، وإن السعى لتبديل المشيئة الإلهية هو من قبيل الكفر، فاليهود ملتزمون دينيًا بانتظار الخلاص على أيدى المسيح المنتظر.

وقد اعتبر ساسون هيرش ـ أحد كبار رجال الدين الألمان ـ العمل من أجل التعجيل بالخلاص معصية كبرى، وانضم إليه فى هذا الرأى رجال الدين فى أوروبا الشرقية. كما رأى إيزاك بروبر أن اليهود أمة دينية تختلف عن بقية الأمم فى أن الدين هو أساس وجودها فى حين أن الصهيونية تريد ترك الدين وبعث الأمة بإرادتها.

وقد تزعم حزب (أجودات إسرائيل) المعارضة الدينية للحركة الصهيونية، وتقدم إلي عصبة الأمم والحكومة البريطانية بالاحتجاجات بسبب موافقتهما على إنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين، وعندما عدل موقفه وبدأ يشارك فى عملية الاستيطان انفصلت عنه طائفة (نيطورى كارتا) التى لا تزال ترفض الاعتراف بدولة إسرائيل.

وعلى العكس، أيد عدد من الحاخامات الصهيونية كطريق إلى الخلاص ذاكرين أن الصهيونية ودولة إسرائيل هما العاملان المركزيان فى عملية الخلاص التى طال انتظارها، وأن من شأن هذين العاملين أن يؤديا إلى عودة اليهود جميعًا إلى أرض إسرائيل وإعادة فرض سيادة (الهالاخا) ـ القانون الإلهى ـ وإعادة بناء الهيكل فى أورشاليم وظهور المسيح.

وكان من أوائل هؤلاء الصهيونيين الدينيين الحاخام الأكبر إسحق كوك (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥م)، والذى ذهب إلى أن «أرض إسرائيل جزء من صميم جوهر قوميتنا، وهى مرتبطة عضويًا بحياتها ولب كيانها. والعقل البشرى هو فى أسمى ذراه لا يستطيع أن يبدأ فى فهم القداسة الفريدة التى تتسم بها أرض إسرائيل. فالأمل فى الخلاص هو القوة التى تحيى اليهودية فى الشتات، واليهودية فى أرض إسرائيل هى الخلاص نفسه».

وقد تابع ابنه الحاخام تسفى يهودا كوك (١٨٩١ ـ ١٩٨٢م) منهاج أبيه نفسه، فقد كتب «إن جماعة الأمم خلقت دولة إسرائيل وأنشأتها بأمر من رب العالمين من أجل أن يتم الأمر الوارد فى التوراة بأنهم سيرثون الأرض . . وعندئذ يمكن تحقيق الميتسيفا (الفريضة الدينية) التى تعد جوهر كل الفرائض، والتى تتعلق بالاستيطان فى الأرض. والدولة هى التى تستطيع أن تحقق الخلاص».

٣ ـ تمجيد القوة فى أسفار التوراة

يحكى سفر يشوع قصة غزو أرض كنعان، ويبرز بشكل واضح ما تميز به جيشه من قوة وما حققه من انتصارات على الملوك فى المعارك التى خاضها. فبعد أن استولى على أريحا حيث أسقطت أسوارها هتافات الشعب اجتمع عليه ملوك مقاطعات الجنوب بأعداد وأدوات رهيبة فهزمهم جميعًا، وبدد شملهم، واستولى على مدنهم الواحدة بعد الأخرى.

«وعندما سمع أدونى صادق ملك أورشليم أن يشوع استولى على عاى ودمرها وقتل ملكها كما صنع بأريحا وملكها. . . فبعث أدونى صادق ملك أوشليم إلى هوهام ملك حبرون وفرآم ملك يرموت ويافيع ملك لخيش ودبير ملك عجلون قائلا «أقبلوا إلى وأعينونى. . . فوحد ملوك الأموريين الخمسة جيوشهم للقيام بهجوم على جبعون. . فباغتهم يشوع على حين غرة. . قذفهم الرب بعاصفة من برد عظيم» (يشوع ١٠ : ١، ١١) وقام يشوع بذبح سكان عجلون وحبرون ودبير، وضرب كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها وذبح كل نسمة من قادش برليع إلى غزة [يشوع ١٠ : ٤٠/ ٣]. وكما فعل يشوع فى حروب الشمال استمر فى حروبه وانتصاراته فى حروب الجنوب. وقد قام بنو إسرائيل بضرب مائة ألف أرامى فى يوم واحد.

وفى حروب بنى إسرائيل مع الفلسطينيين، قتل شمشون ألف فلسطينى بفك حمار [قضاة ١٥ ـ ١٦].

كما قام داود (الفتى الضئيل) بقتل جولات (العملاق) بضربة واحدة (الأمر الذى يحلو لإسرائيل أن تضربه مثلاً عن انتصاراتها على الدول العربية). وأحرز داود

انتصارات ساحقة خارج أرض إسرائيل لتوسيع ملكه شمالا وجنوبا «وقهر أيضًا الموابيين وجعلهم يرقدون على الأرض فى صفوف متراصة، وقاسهم بالحبل، فكان يقتل صفين ويستبقى صفًا. فأصبح الموآبيون عبيدًا لداود يدفعون له الجزية» [صمويل ٢ : ٨، ٢]. وقام داود بغزو سوريا وحقق انتصارًا حاسمًا على الأراميين فى دمشق. ومن أهم فتوحات داود الاستيلاء على أورشاليم معقل اليبوسيين واتخاذها عاصمة لإسرائيل.

وورث سليمان مملكة داود، وبنى الهيكل لعبادة الرب.

وتمثل مملكة داود وسليمان أزهى عصور التاريخ اليهودى القديم، والأمل الذى يراود أحلام اليهود على مدى تاريخهم بإعادة أمجادهم الغابرة، وتعمل إسرائيل جاهدة للبحث عن أية آثار لتلك المملكة (ومع ذلك فإن نتائج عمليات التنقيب على الآثار لا تزال بعيدة عن إثبات ما يتضمنه العهد القديم عن هذا العصر. ولم يزد عمر هذه المملكة على ثمانين عامًا).

وتتميز حروب اليهود القديمة بالقسوة البالغة والعنف، فهى حروب إبادة تشمل البشر والأنعام والجماد على السواء. فبعد غزو يشوع أريحا «أخذوا المدينة وحرموا (أى قتلوا) كل ما فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف».

ومع ذلك، تشيد الثقافة الصهيونية بهذه الحروب وغيرها من حروب التاريخ القديم، كدليل على ما يتمتع به اليهود من قوة وجسارة.

ومن ناحية أخرى، تبرز الصهيونية بطولات المكابيين وثورة باركوخبا ضد الرومان، ومقاومة اليهود للحكم الأجنبى ودفاعهم عن عقائدهم واستغلالهم.

وسوف نرى ـ فى الفصل القادم ـ أن من بين مبادئ الصهيونية اكتساب أسباب القوة ومن وسائلها استخدام العنف.

ويكفى أن نشير هنا إلى ما يتضمنه كتاب الدولة اليهودية لتيودور هيرتزل أبى الحركة الصهيونية من دعوة إلى «حمل السلاح ضد بحر من المشاكل التى ستثيرها محاولات بناء الدولة اليهودية».

٤ ـ الصهيونية وأرض إسرائيل

بعد أن كان هيرتزل لا يعارض فى إنشاء دولة اليهود فى أى مكان ـ كما سبقت الإشارة ـ وبعد أن واجه معارضة شديدة لقبوله العرض البريطانى بإقامتها فى أوغندا (تانزانيا الحالية) تغلبت على الحركة الصهيونية فكرة العودة إلى فلسطين، لأن من شأنها جمع اليهود حول الحركة المذكورة وتأييدهم لها. ومن ثم أحيت الصهيونية العقائد الصهيونية المتعلقة بأرض الميعاد، وما جاء بأسفار التوراة من وعد إلهى لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان.

واعتبرت الصهيونية هذه الأراضى التوراتية تمثل الحدود التاريخية لليهود. ومن هنا كانت مطالبتها أمام مؤتمر السلام عام ١٩١٩م بأراضى الدولة اليهودية التى تشمل فلسطين وأجزاء من سوريا ولبنان وسيناء.

وتبنت الصهيونية الفريضة الدينية اليهودية الخاصة باستيطان الأراضى، بل جعلتها هدف الهجرة إلى فلسطين.

والخلاصة، أنه بالرغم من كون الصهيونية حركة علمانية، إلا أنها مرتبطة تمام الارتباط بالعقائد الدينية اليهودية، وقد أفسحت مجالاً للنشاط الدينى فى الدولة التى أنشأتها، الأمر الذى نتناوله تفصيلاً عند الكلام عن سياسة إسرائيل.

***

الفصل الثالث

الإستراتيچية الصهيونية لإقامة الدولة اليهودية

١ ـ قرارات مؤتمر بازل

حدد المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى بازل عام ١٨٩٧م هدف الصهيونية بأنه (السعى لإقامة وطن لليهود فى فلسطين يكون معترفًا به وفقًا للقانون العام) وكان ابتداع تعبير إقامة الوطن القومى غطاء لإقامة الدولة بهدف عدم إثارة المشاكل الدولية فى ذلك الوقت.

أما عن وسائل تحقيق ذلك الهدف، فقد تضمنتها قرارات المؤتمر وتتلخص فى: تهجير اليهود إلى فلسطين ـ واستيطان البلاد (بعمال الزراعة وأصحاب المهن الأخرى) ـ وتوحيد الجاليات اليهودية وتنظيمها فى الدول المختلفة ـ وتقوية المشاعر اليهودية والقومية ـ والحصول على موافقة الدول على المشروع الصهيونى.

٢ ـ أفكار هيرتزل عن الدولة اليهودية

عكست قرارات مؤتمر بازل أفكار هيرتزل التى ضمنها الكتيب الذى أصدره بعنوان (دولة اليهود)، وهو كتيب (يحوى خليطًا عجيبًا من الأفكار القومية الغيبية والنظريات الاستعمارية الاسترجاعية، والمشاريع الاستثمارية الاستغلالية، مع ما يرافقها من طروحات عنصرية، فهو يجمع بين النزعة العرقية العنصرية والارتباط العضوى

بالإمبريالية العالمية. وتبرز عنصريته فى تجاهل كون فلسطين آهلة بالسكان ونظرته الدونية إليهم.. ولإقناع الدوائر الإمبريالية بتبنى مشروعه، فقد أسسه هيرتزل على نظرية الرجل الأبيض التحضيرية تقليداً للاستعمار الغربى. أما الدولة اليهودية، فقد صورها على أنها سوف تشكل هناك جزءاً من قداس أوروبا فى آسيا..[1]

٣ ـ أسس الإستراتيجية الصهيونية

تقوم إستراتيجية الحركة الصهيونية على الأسس التالية:

* فرض المشروع الصهيونى على الفلسطينيين بالقوة

وقد عبر ڤلاديمير چابوتنسكى عن ذلك بقوله: «إن من المستحيل التوصل إلى اتفاق اختيارى مع عرب فلسطين، فطالما أن ثمة بارقة أمل تكون لديهم بالتخلص منا، فإنهم لن يتخلوا عن هذا الأمل مقابل كلمات حلوة أو لقمة خبز؛ لأنهم يشكلون أمة ربما تكون ممزقة، ولكنها لا تزال حية.. إن اليهود الذين يحاولون إقناعنا بأن العرب بلهاء يمكن خداعهم مخطئون، فكل الشعوب المتمدينة منها والمتوحشة، يعتبرون بلادهم أوطاناً لا يسمحون بسيادة آخرين عليها أو حتى مشاركتهم فيها» والحل عند چابوتنسكى هو إقامة جدار حديدى يروع الفلسطينيين، ويفرض عليهم الدولة اليهودية.

وكان چابوتنسكى صادقًا عندما ذكر أنه ليس وحده صاحب هذا الرأى، بل إن كل الصهيونيين يشاطرونه إياه.

* تفريغ فلسطين من أصحابها العرب بنقلهم أو طردهم خارجها

كان هيرتزل يقول: «سنحاول أن نخرج السكان المعدمين عبر الحدود بأن نجد لهم عملاً فى البلاد التى نطردهم إليها».

كما أن ماكس نورداو ـ صديق هيرتزل ورفيقه منذ إنشاء الحركة الصهيونية ـ يذكر «أن هناك حاجة ملحة لنقل ملكية الأراضى من عرب فلسطين إلى اليهود والتصدى لمقاومتهم بالقوة».

---

(١) إلياس شوفانى: الموجز فى تاريخ فلسطين السياسى (مؤسسة الدراسات الفلسطينية).

وقد وضعت الحركة الصهيونية خططًا متعددة لنقل عرب فلسطين أو طردهم بالقوة. ففى عام ١٩٣٠م، أجرى حاييم وايزمان مباحثات مع اللورد باسفيلد وزير المستعمرات البريطانية، واقترح عليه ترحيل عرب فلسطين إلى شرق الأردن والعراق وأن تنشأ شركة يهودية فى شرق الأردن تمتلك مليون دونم من الأراضى هناك ليرحلوا إليها. وفى مايو ١٩٣٧م. سافر بن جوريون إلى لندن للترويج لخطة ترحيل عرب فلسطين إلى شرق الأردن، كما كتب فى مذكراته «إن ترحيل العرب قسراً من الأودية التابعة للدولة اليهودية المقترحة يمنحنا شيئًا لم يكن لنا قط» وكتب إلى ابنه: «علينا أن نطرد العرب ونحتل أماكنهم حتى باستخدام القوة». ووضع يوسف ڤايتس وإدوارد فورمان وغيرهما خططًا للترحيل القسرى للفلسطينيين، كما شكلت اللجان لدراسة هذه الخطط وتنفيذها. وكان ڤايتس متحمسا لفكرة ترحيل الفلسطينيين كحل لمشكلة تملك اليهود للأرض ولتحقيق الأغلبية السكانية. وقد شارك فى تهجير عدد من سكان القرى العربية من منطقة مرج ابن عامر ووادى الأردن فى مارس ١٩٤١م[١].

وقد أتاحت حرب ١٩٤٨م لإسرائيل الفرصة لطرد غالبية عرب فلسطين بتنفيذها خطة داليت، الأمر الذى نتعرض له بالتفصيل فى الباب القادم.

* الاعتماد على دولة (أو دول) كبرى لتنفيذ المشروع الصهيونى بمساندتها:

كانت الصهيونية تدرك منذ نشأتها أن إقامة دولة يهودية فى فلسطين رغمًا عن سكانها لا يمكن تحقيقها إلا إذا جرى تنفيذ مشروعها تحت حماية دولة ـ أو دول ـ كبرى تكفل لها تهجير اليهود إلى فلسطين واستيطانهم فيها وبناء المؤسسات اللازمة لإقامة تلك الدولة.

فقد طرح هيرتزل مشروعه على أساس الرسالة الحضارية للرجل الأبيض، ذاكرًا فى كتابه «إن الدولة اليهودية ستكون جزءًا من أوروبا وسدًا فى مواجهة آسيا، ومركزًا متقدمًا للمدنية فى وجه البربرية. وإن علينا كدولة محايدة أن نبقى على اتصال بأوروبا التى عليها ضمان وجودنا» وراح هيرتزل يعرض خدماته على الدول المختلفة بدءًا

(١) انظر: نور الدين مصالحة: طرد الفلسطينيين: مفهوم الترانسفير فى الفكر والتخطيط الصهيونيين (مؤسسة الدراسات الفلسطينية). وكتاب الترانسفير: الإبعاد الجماعى فى العقيدة الصهيونية ـ ترجمات مختارة من العبرية ـ تقديم: د. محجوب عمر (دار البيادر للنشر والتوزيع).

بالدولة العثمانية وألمانيا وانتهاء ببريطانيا، مؤكدًا فى كلٍّ منها استعداد الدولة اليهودية لخدمة مصالحها.

وحقق حاييم وايزمان أحلام هيرتزل عندما نجح فى الحصول من بريطانيا على وعد بلفور عام ١٩١٧م، وعلى تأييدها فى تولى الانتداب على فلسطين ثم قيامها بتقديم الدعم الكامل للحركة الصهيونية فى تنفيذ مشروعها تحت حمايتها.

واتجهت أنظار الصهيونية بعد ذلك إلى الولايات المتحدة التى أصبحت الدولة العظمى بعد الحرب العالمية الثانية، ونجحت فى إقامة العلاقة الخاصة التى لا تزال تربط البلدين، وتكفل للدولة العبرية (إسرائيل) كافة ألوان الدعم العسكرى والسياسى والاقتصادى.

● المرحلية فى إقامة الدولة اليهودية الكبرى:

هدف الصهيونية هو إقامة الدولة اليهودية الكبرى التى تمتد إلى ما تعتبره الحدود التاريخية لأرض إسرائيل - من نهر مصر إلى نهر الفرات - والتى تشمل أرض فلسطين وشرق الأردن وأجزاء من الأراضى السورية واللبنانية.

وتعمل على تحقيق هذا الهدف تدريجيًا وفقًا لمراحل متتابعة تراعى فيها إمكانياتها الذاتية والظروف الإقليمية والدولية.

ففى مرحلة نشأتها، حرصت الصهيونية على عدم استخدام كلمة دولة، وإنما ظلت منذ مؤتمر بازل تدعى أن هدفها هو إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين. وتضمن تصريح بلفور - الذى شارك حاييم وايزمان فى صياغته - أن بريطانيا تتعاطف مع إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين. وأشار التصريح إلى عدم المساس بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية المقيمة فى فلسطين ولا بالحقوق والوضع السياسى لليهود فى البلاد الأخرى. ويلاحظ أن القصد من إيراد هذين التحفظين هو عدم إثارة اعتراضات الدول الأخرى على مشروع يؤثر بطبيعته على حقوق عرب فلسطين من جهة، وأوضاع اليهود فى الدول الأخرى من جهة أخرى.

ومع ذلك، فقد جاءت الإشارة إلى حقوق الفلسطينيين فى غاية الافتراء والتجاهل لحقيقة أن الشعب الفلسطينى كان يمثل الغالبية العظمى للسكان - وليس مجرد طائفة

أخرى غير يهودية ـ وأن له حقوقًا سياسية وقانونية هى تقرير المصير والاستقلال، وليست مجرد حقوق مدنية ودينية، وقد تسببت تلك الصياغة المخادعة فى تضارب السياسات البريطانية طوال مرحلة الانتداب على فلسطين.

وفى ظروف الحرب العالمية الثانية، ومع التعاطف الدولى مع اليهود بسبب ممارسات النازية، وجدت الصهيونية أن الظروف أصبحت ملائمة للمطالبة بإنشاء الدولة اليهودية (وليست مجرد الإشارة إلى الوطن القومى)، وهو ما أعلنه مؤتمر بلتيمور فى مايو ١٩٤٣م، وبذلت الصهيونية أقصى الجهود لاستصدار قرار من الأمم المتحدة يتضمن إنشاء الدولة اليهودية، ومارست الولايات المتحدة ضغوطًا غير مسبوقة على الدول أعضاء المنظمة الدولية حتى صدر قرار تقسيم فلسطين الذى تضمن إنشاء الدولة اليهودية.

وكانت الصهيونية تطالب بإقامة الدولة اليهودية على أرض فلسطين بأكملها، ولكنها رأت قبول قرار التقسيم بصفة مرحلية إلى أن تسمح لها الظروف بالتوسع، وأتاحت حرب ١٩٤٨م لها توسيع رقعتها على حساب الدولة العربية التى رسم القرار حدودها فأصبحت تشغل ٧٨٪ من مساحة فلسطين الكلية.

وحاول بن جوريون التوسع فى سيناء التى احتلتها القوات الإسرائيلية خلال العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦م، مدعيًا أنها من (أرض إسرائيل)، ولكن الضغط الأمريكى والتهديد السوفييتى والمعارضة الدولية أجبرته فى جملتها على الانسحاب. ومع ذلك، فإنه لم يسحب قواته قبل أن يحصل من الولايات المتحدة على ضمان لحرية الملاحة فى خليج العقبة ويحقق الفصل بين إسرائيل ومصر بانتشار القوات الدولية على الحدود بين البلدين وفى شرم الشيخ.

أما حرب عام ١٩٦٧م، فقد مكنت إسرائيل من الاستيلاء على كل الأراضى الفلسطينية وعلى سيناء وهضبة الجولان السورية، فادعت أن لها الحق فى حدود جديدة تكون آمنة ومعترفا بها، ورفضت سحب قواتها من الأراضى العربية المحتلة قبل الاتفاق مع الأطراف العربية على هذه الحدود. كما قامت بضم القدس الشرقية وأعلنت أن القدس ـ بشطريها ـ هى العاصمة الأبدية لدولة إسرائيل.

وقد اضطرت إسرائيل إلى الانسحاب من سيناء بعد الانتصارات المصرية والسورية فى

حرب أكتوبر ١٩٧٣م، ولكنها لا تزال تحتل بقية الأراضى العربية - بما فيها أجزاء من جنوب لبنان - وفى حين يطالب اليمين الصهيونى بضم كل الأراضى المحتلة، فإن اليسار الصهيونى يرى إعادة أجزاء من هذه الأراضى للمحافظة على الطابع اليهودى للدولة.

٤ - تفتيت الدول العربية

نشرت مجلة كيفونيم Kivuunim الإسرائيلية فى عددها الصادر فى شهر فبراير ١٩٨٢م مقالاً فى غاية الخطورة للكاتب أوديدينون Oded Yinon تحت عنوان «إستراتيجية لإسرائيل فى الثمانينيات»(١).

وتقوم الإستراتيجية التى يقترحها الكاتب على أساس تفتيت الدول العربية إلى دويلات صغيرة.

فالعالم العربى - فى رأى ينون - لا يشكل كتلة واحدة متجانسة إثنيًا أو اجتماعيًا أو دينيًا، وإنما هو منطقة شديدة التنوع تتكون من موزاييك من دول تتصارع فى داخلها قبائل وطوائف وأقليات قومية وعرقية ودينية ومذهبية وغيرها، وقد صنعت الوحدات القائمة حاليًا والتى يطلق عليها اسم الدول العربية صنعتها مصادفات تاريخية وسياسية نجمت عن محصلة التفاعل بين أطماع وطموحات قوى ومصالح خارجية وداخلية (مقال د. حسن نافعة فى صحيفة الحياة بتاريخ ٢٧/ ٦/ ٢٠٠٧ تحت عنوان «الإستراتيجية الصهيونية لتفتيت العالم العربى»).

ويذكر الكاتب أن من مصلحة إسرائيل تفتيت العالم العربى، وأمامها فرصة ممتازة لتغيير هذه الأوضاع، وهو ما يجب عليها عمله خلال العقد القادم.

ويمضى فى استعراض أوضاع كلٍّ من الدول العربية وتركيبة سكانها، بدءًا بمصر فالعراق فدول الخليج والأردن، مقترحًا على إسرائيل العمل على تفتيت كلٍّ منها، ذاكرًا أن على إسرائيل العمل على استعادة السيطرة على سيناء، وأنه فى حالة تفتيت مصر وسقوطها، فسوف تسقط دول مثل ليبيا والسودان.

---

(١) The Zionist Plan for the Middle East: Transtated and Edited By Israel Shahak.

أما سوريا والعراق ودول الخليج، فيجب العمل على تفتيت كلٍّ منها وخاصة أن أوضاعها وتركيبة السكان فيها تيسر ذلك (ويذكر صاحب المقال الدويلات التى تنقسم إليها كلٌّ منها).

وتتمثل خطورة هذا المقال فى أنه ليس رأيًا منفردًا، بل إنه على نحو ما أكدته صحيفة هاآرتيس الإسرائيلية فى عددها الصادر يوم ٢/ ٦/ ١٩٨٢م من أن «تفتيت الدول العربية إلى دويلات صغيرة فكرة تشغل بال إسرائيل، بل إنها إحدى نقاط إسرائيل الإستراتيچية التى تفكر فيها دائمًا».

ومن ناحية أخرى، فإنه يلاحظ أن كاتب المقال كان يعمل بوزارة الخارجية الإسرائيلية، وقد كتبه بعد عقد معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، فمقاله ليس مجرد رأى لأحد الصحفيين، بل تؤيده مشروعات صهيونية سابقة، مثل مشروع بن جوريون لتقسيم لبنان (الذى نشير إليه فى موضع لاحق).

وقد أثار المقال اهتمام رابطة خريجى الجامعات العرب الأمريكيين، فطلبت من البروفسور إسرائيل شاحاك ترجمته إلى الإنجليزية والتعليق عليه.

كما أنه يجب أن يثير القلق والحذر من هذه الإستراتيچية خاصة فى الوقت الحالى الذى تتعرض فيه دول مثل العراق والسودان لمخططات التفتيت، وذلك لمواجهة هذا الخطر الداهم[1].

***

(١) عونى عبدالمحسن فرسخ: مخططات التفتيت (دار المستقبل العربى).

الفصل الرابع

العنف الصهيونى

١ ـ تقديس الصهيونية للقوة

سبقت الإشارة إلى التراث اليهودى الدينى والتاريخى الذى يمجد القوة نتيجة لما تضمنه العهد القديم من تفخيم لمعارك يشوع وغيره من ملوك اليهود، وخاصة كرد الفعل لحياة البؤس والضعف اليهودى فى الجيتو بعد مرحلة الشتات (الدياسبورا).

وقد لجأت الصهيونية ـ من جانبها ـ إلى إعادة كتابة التاريخ اليهودى القديم، فتحدث زعماؤها ومفكروها عما اتصفت به الأمة اليهودية من أنها كانت أمة محاربة. ومجدوا القوة والعنف، ورددوا ما جاء فى سفر يشوع من أوامر إلهية بقتل الكنعانيين من رجال ونساء وأطفال.

فيقول الحاخام أليعازر: «إن السيف والقوس هما زينة الإنسان، وإن من المسموح به أن يظهر اليهودى بهما فى يوم السبت».

ويوصى جابوتنسكى بعض الطلبة بالاحتفاظ بالسيف قائلاً:

«إن التوراة والسيف أنزلا علينا من السماء».

أما مناحيم بيجين فيرفع شعاره (أنا أحارب، إذن فأنا موجود). كما يقول: «إن قوة التقدم فى تاريخ العالم ليست بالسلام بل بالسيف».

ويقول بن جوريون: «إن موسى هو أول قائد عسكرى فى تاريخ أمتنا». بل ويقول كذلك: «بالدم والنار سقطت يهوذا، وبالدم والنار ستقوم يهوذا».

وأما چابوتنسكى فإنه يدعو إلى إقامة جدار حديدى من القوة لترويع العرب الفلسطينيين وإرغامهم على قبول الدولة اليهودية.

وقد قام الفكر الصهيونى بالترويج لثقافة القوة واستعمال العنف ضد الأغيار وتزكية روح الانتقام منهم، فكتب الشعراء والأدباء أشعاراً وقصصًا تروج لتلك الثقافة.

ومن أمثلة تلك الكتابات قصيدة حاييم نحمن بياليك (١٨٧٣ ـ ١٩٣٤م)، التى يقول فيها[١]:

«شعب لا يتزحزح.. لا يضطرب.. لا يخاف

يتحدى الجحيم.. ينتشر كالنار فى الحجيم.. ولو سفح الدماء»

وتقول الشاعرة (أنامنجرينو):

«علىّ أن أكون بالمقدمة، لأنى يهودية.. واجبى مواصلة الدرب لمواجهة الأغيار الأعداء، ولو كان العالم كله».

كما يقول شاؤول تشرنحوفسكى (١٨٧٥ ـ ١٩٤٣م)

«سيأتى اليوم الذى تفقد فيه أيها المضطهد طهارتك، وتغرس حد السكين فى عنق أخيك.. يا يوم الثأر، يوم ينتف ابنك شعر ذقنك التى علاها الشيب ويرفع فى وجهك قبضته الصلبة مهددًا ويناديك من حنجرته الحيوانية.. يا يوم الثأر والعقاب» ويقول أيضًا: «فلترسل يا إلهى سيفك لتثأر منهم، ولتتركهم فى بؤس شديد دون ذرية.. فلتصب غضبك على الممالك التى لا تنادى باسمك.. لأنهم دمروا مساكن شعبك وأكلوا نصيب يعقوب».

ومن القصص التى تجسد صورة العبرى الجديد (التسمية التى يفضلها الصهاينة) قصة (يواشن) للأديب يوسف لوايدور، ورواية (موت أورى بيلد)، للكاتب شماى جولان التى تتحدث عن المجتمع الصهيونى الجديد، وتندد بضعف اليهود اللاجئين من أحداث النازية وغيرهما من قصص الحروب التى خاضتها إسرائيل.

---

(١) د. رشاد الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية (كتاب الهلال).

ومن الأغنيات التى راجت فى أعقاب حرب ١٩٦٧م تلك التى تردد: «العالم بأسره ضدنا.. إن هذه حكاية قديمة، علمنا إياها آباؤنا.. وإذا كان كل العالم ضدنا، فإننا لن نهتم بذلك.. وإذا كان كل العالم ضدنا، فليذهب العالم كله إلى الجحيم».

٢ـ التنظيمات والقوات العسكرية الصهيونية

حرصت الحركة الصهيونية على المشاركة فى صفوف الجيش البريطانى خلال الحربين العالميتين، وذلك بقصد اكتساب الخبرات القتالية.

ومن ناحية أخرى، قام جابوتنسكى بتأسيس حركة بيطار للشبيبة الصهيونية بهدف تدريب الشباب وإعدادهم عسكريًا.. وكانت مراكز الحركة الرئيسية فى پولندا ودول البلطيق وفلسطين. وقد أقامت مراكز للتدريب العسكرى ومدارس للبحرية والطيران فى دول مختلفة. وبلغ عدد أعضائها حوالى ٨٠ ألفًا.

أما فى فلسطين، فقد أنشأت الحركة الصهيونية منظمة الهاجاناه فى عام ١٩٢١م، وجعلت منها أداة الوكالة اليهودية لقمع عرب فلسطين، كما استخدمتها لشن العمليات الإرهابية ضد القوات البريطانية. وقد تضمن دستور الهاجاناه أنها منظمة عسكرية سرية للدفاع عن اليشوف (يهود فلسطين).

وبعد إنشاء دولة إسرائيل، أصبحت الهاجاناه نواة للجيش الإسرائيلى.

٣ـ المنظمات الإرهابية الصهيونية

بعد أن بدأت المقاومة الفلسطينية مرحلة النضال المسلح ضد الحركة الصهيونية والقوات البريطانية فى العشرينيات من القرن الماضى. وخاصة بعد أن وقعت الاشتباكات بين الفلسطينيين واليهود فى إبريل ١٩٢٠م بمناسبة الاحتفالات بموسم النبى موسى، وسقوط عدد من القتلى والجرحى من الجانبين، أنشأت الوكالة اليهودية منظمة الهاجاناه التى استخدمتها ضد الفلسطينيين والجنود البريطانيين.

وقد تصاعدت أعمال المقاومة الفلسطينية ووقعت الاشتباكات المسلحة بين الجانبين

فى ثورة البراق عام ١٩٢٩م وثورة عز الدين القسام عام ١٩٣٣م والثورة الكبرى من عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٣٩م.

وأنشأت الجالية اليهودية (اليشوف) فى فلسطين المنظمات الإرهابية بقصد ترويع الفلسطينيين وإخماد مقاومتهم، وإرهاب القوات البريطانية وخاصة بعد إصدار بريطانيا الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩م، والذى اعتبره اليهود ممالئا للفلسطينيين.

وقد نشطت الحركة الصهيونية التصحيحية التى أنشأها ڤلاديمير چابوتنسكى عام ١٩٢٣م احتجاجًا على ضعف الحركة الصهيونية الأصلية فى دفاعها عن الأهداف الصهيونية، فأنشأ چابوتنسكى حركة بيطار للشباب اليهودى ـ السابق الإشارة إليها ـ كما أنشأ منظمة إرهابية باسم إريجون زفاى ليومى (وتعرف كذلك باسم إيتسل). وقد رفضت هذه المنظمة سياسة ضبط النفس التى أعلنتها الهاجاناه عند قيام الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦م، وقامت بعمليات إرهابية ضد الفلسطينيين فهاجمت حافلاتهم ووضعت المتفجرات فى تجمعاتهم وأسواقهم وأوقعت الكثير من القتلى والجرحى فى صفوفهم. وقد تولى مناحيم بيجين قيادة المنظمة منذ نوفمبر ١٩٤٣م، وأعلن التمرد على الانتداب البريطانى، وقامت المنظمة على مدى أربع سنوات بعمليات اغتيال وتخريب ضد البريطانيين والعرب، وكان من أعنفها مذبحة دير ياسين التى أوقعت ٢٥٠ قتيلاً، والاعتداء على فندق الملك داود بالقدس حيث مقر القيادة البريطانية والذى أوقع ٩١ قتيلاً.

ومنذ صدور الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩م، عدلت الهاجاناه عن سياسة ضبط النفس وقامت ـ هى وإيتسل ـ بعدة عمليات ضد البريطانيين والفلسطينيين. وقد انسلخ عن الهاجاناه منظمات أخرى. وأدى نشوب الحرب العالمية الثانية إلى إطلاق بن جوريون شعاره «سنشارك فى الحرب إلى جانب بريطانيا كما لو كان الكتاب الأبيض (لعام ١٩٣٩م) غير موجود، ونحارب الكتاب الأبيض كما لو كانت الحرب غير موجودة».

وفى عام ١٩٣٩م، أسس أڤراهام شتيرن منظمة إرهابية لمحاربة البريطانيين، وكان من بين مبادئها إقامة الدولة اليهودية على (أرض إسرائيل) من النيل إلى الفرات

وترحيل عرب فلسطين خارج البلاد، وقد أجرت المنظمة اتصالات مع ألمانيا النازية بهدف التعاون معها عامى ١٩٤٠ و١٩٤١م وتعرف هذه المنظمة باسم (ليحى) وقد قامت باغتيال الكونت برنادوت وسيط الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م.

وقد عملت الهاجاناه وغيرها من المنظمات الإرهابية على التصدى للمقاومة الفلسطينية ـ مستعينة بقوات الانتداب البريطانى ـ ثم لجأت إلى ترويع الشعب الفلسطينى بعد صدور قرار التقسيم، بهدف طرد الفلسطينيين خارج البلاد وتوسيع رقعة الدولة التى رسمها هذا القرار لها على حساب الدولة العربية على نحو ما حدث من مذبحة دير ياسين. وسوف نتعرض بالتفصيل لهذه المذابح فى الباب القادم.

***